أ. السيد علي بن السيد عبدالرحمن الهاشمي
مستشار رئيس الدولة للشؤون القضائية والدينية - الامارات

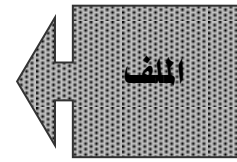


# دور الإيمان في تحقيق السلام الاجتماعي

إن السلام والامن انما هما دعامتان اساسيتان من دعائم أية دولة كانت؛ لأن حياة البشرية كلها تعتمد قبل كل شيء على استقرارهما في حياة المجتمعات الإنسانية، بحيث انهما من الشروط الاساسية للتنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وليس من باب الصدفة ان الإسلام جعل السلام والأمن والحفاظ عليهما وكذلك حماية الممتلكات والأعراض وتوفير المناخ الملائم للحياة الآمنة والمطمئنة مهمة اساسية من بين مهام الدولة الإسلامية الأولى التي بناها رسول الله(ص) بالمدينة المنورة في فجر الإسلام والتي كان السلام والأمن مطلبا شرعيا فيها.

ومعروف ان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يدعوان الناس إلى الاسهام في توفير الأمن في مجتمعاتهم عن طرق مختلفة بما فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واعانة المسلم لأخيه المسلم وكف الأذى عنهم، لأن كل هذا يضمن المجتمع من ارتكاب جرائم. كما ان التربية الاجتماعية لافراد المجتمع على أساس احكام ديننا الحنيف وكتابه المنزل ـ القرآن الكريم ـ والسنة النبوية تضمن تكوين شخصية مسالمة ورسم ملامح سلوك الأفراد إلى تؤدي إلى التشبع بالقيم الدينية الفاضلة والوازع

الأخلاقي؛ مما يشكل درعا واقية من الجرائم المختلفة.

لقد جعل الله تعالى من الأمن والسلام نعمة موازية لنعمة المطعم، ويدل على ذلك قوله تعالى في سورة قريش: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[١].

ان الحفاظ على الحياة الامنة وخلق اجواء الصلح والسلام بين الناس من أهم دعوات الإسلام شأنه شأن الأديان السماوية الأخرى حيث جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[٢]. ﴿الصلح خير﴾[٣]. و﴿إِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾[٤]. ولاجل فهم جوهر ومضمون السلام والأمن في الإسلام يجب النظر في معاني استعمال هذين المفهومين في القرآن الكريم.

لقد اشارمؤلف فهرس القرآن الكريم المعاصر ـ الباحث المصري محمد فؤاد عبدالباقي إلى ان كلمة السلام، مثلا، وردت في القرآن الكريم مرة في شكل «سِلم» ومرتين في شكل «سَلم» واربع مرات في شكل «سلم» واثنين واربعين مرة في شكل «سلام»[٥]. وكلمة سلام ـ كلمة متعددة المعاني حيث إن هذه المعاني تختلف بين بلد وآخر وبين فرد وآخر وبين شعوب مختلفة. ربما كلمة السلام تعني للجائع لقمة خبز وللعبد حرية وللاجئ ـ عودته إلى أهله وديارة وغيرها.

كما ان شرح المعاني الصحيحة لهذين المفهومين يكتسب أهمية بالغة في عصرنا اليوم عندما توجه اتهامات باطلة ضد الإسلام، ويربطون ديننا الحنيف بالإرهاب وسفك الدماء والخطر على السلام والأمن وغيرها.

وكرد على الاتهامات الباطلة لأعداء الإسلام يكفي اقتباس عدة آيات كريمة حيث يدعو الله عزوجل فيها الناس إلى الحياة الأمنة والمسالمة ومنها: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾[٦]. و﴿يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ﴾[٧]. وهناك آيات من سورة البقرة (٢٠٨) وسورة الانفال (٦١) وسورة محمد(٣٥) وغيرها حيث استعملت هذه الكلمة بمعنى سلام وسلم.

ويربط العالم الإسلامي التونسي الشيخ مصطفى كمال الترزي معنى كلمة «السلام» في الإسلام «بالتقوى»، لان التقوى يرفض الباطل ويدعو إلى الحق ويربي لدى المرء الحب نحو السلام والأمن والصلح. وهو يشير بأن كلمة السلام وردت في القرآن الكريم بالارتباط مع الأنبياء عيسى ونوح وابراهيم وموسى وهارون وغيرهم (عليهم السلام) أيضاً (انظر: مريم (٣١-٣٣) وهود (٤٨) والصافات (١٠٩) والصافات (١٢٠) وغيرها[٨].

كما ان كلمة السلام في القرآن الكريم استعملت بمعنى التسليم امام الله عزوجل والتوكل عليه والطاعة له: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٩]. ويدعو القرآن الكريم بهذه الآية المباركة الناس إلى عدم اتباع خطوات أولئك الذين يبذرون بذور العداء والفتنة والتفرقة بين الناس، وبالتالي في المجتمع الإنساني، والى الابتعاد عن النزاعات والخلافات والحروب والوصول إلى الصلح والسلام والأمن التي هي مجتمعة ضمان التنمية الشاملة للمجتمعات بأسرها.

وهناك مفسرون يربطون معنى «السلام» بالأمن والاطمئنان والثبات والاستقرار، وينسبون ذلك إلى اصحاب التقوى: ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾[١٠]. والاخرون يرون في معنى «السلام» ـ «في الحب بالسلام في قلوب الناس والدعوة إلى الإسلام ومنهم شيخ الازهر السابق الشيخ المرحوم محمود شلتوت[١١]، الذي يرى بأن الله عزوجل يحب عباده الذين يسعون ليشّبهوا إليه بحكم ان احد اسمائه الحسنى - «السلام» أيضاً.

ويبدو من الأمثلة القرآنية الكريمة بان مفهومي «السلام» و«الامن» يكملان بعضهما البعض في النصوص الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة؛ حيث يذكر القرآن المجيد إلى جانب اسم الله تعالى ـ «السلام» اسمه الآخر ـ «المؤمن» أيضاً: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ

اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١٢]، بمعنى آخر فان لهاتين الكلمتين مفهومين مترادفين.

معروف ان هناك أسباب مختلفة تخل بالسلام والأمن في المجتمعات البشرية واهمها ـ عدم المساواة والتمييز بين الناس، وخاصة اعتبار قوم أو شعب أو طائفة نفسها افضل من طائفة اخرى، وهذا ما يرفضه الإسلام أيضاً، لان الله عزوجل يقول: ﴿... ان اكرمكم عند الله اتقاكم..﴾[١٣]. وهذا يعني بأن كل الناس متساوون امام الله، وحسب تعبير رسول الله(ص) «ان الناس سواسية كاسنان المشط» وفي الواقع لا يقبل الإسلام أي تمييز عرقي أو جسماني أو اجتماعي؛ حيث ان المعيار الأساسي فيه للتفريق بين الناس ليس المنظر الخارجي أو القامة أو الملامح الخارجية أو الصفات الطبيعية، بل المزايا الداخلية الباطنة للانسان التي لا تسمح له بارتكاب أية جريمة أو الاخلال بالامن والسلام داخل المجتمع. ويرى الإسلام بأن كل البشرية اسرة واحدة وخلق الناس من اب واحد وام واحدة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[١٤].

ان مفهوم «السلام» في الإسلام هو أيضاً التحية حيث ان المؤمنين يسلمون على بعضهم البعض اثناء اللقاء ويتمنون لبعضهم البعض الامن والسلامة والرخاء والرفاهية. والله عزوجل يعد لمن يسلم على اخيه المسلم بأجر كريم إذ يقول: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[١٥]. وليس ذلك في هذه الدنيا بل وفي الآخرة أيضاً. ويقول أيضاً: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[١٦].

ويخصص المسلمون لمفهوم «السلام» اهمية خاصة لان المسلم بتحية السلام لاخيه بالسلم والأمن وعليه الا يعتدي بالشخص الذي سلّم عليه. ويفرض القرآن الكريم على المسلمين بأن يسلموا على من في البيت حتى إذا دخلوا بيوتا مجهولة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١٧].

ويجب ان يرد المسلم على التحية بالسلام لان السلام لله، ويجب ان يكون الرد على «السلام عليكم» ـ «عليكم السلام ورحمة الله».

ويقول المحدث المشهور ابو ذكريا محي الدين النووي ان «السلام عليكم» صيغة سلام مناسبة لعباده بموجب شرعه منذ ان خلق آدم[١٨].

لان «السلام» وسيلة للحب والالفة والقرب بين الناس والغرض منذ خلق علاقات مشتركة منسجمة بين المسلمين وتعزيز عرى الأخوة والسلم والمسالمة والأمن والاطمئنان: ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾[١٩].

لقد سألوا نبي الإسلام (ص): أي اسلام (أي عمل في الإسلام) احسن (اكثر الثواب)؟ فاجاب: «الاطعام والتحية لمن تعرفه ولا تعرفه»[٢٠].

هكذا يمكن استنتاج مما تم ذكره آنفا بأن معنى مفهوم السلام والأمن في القرآن الكريم والاحاديث النبوية يتلخص في الآتي:

ـ «السلام» يعني السلامة من أي نوع من النقصان والظلم والاذي؛

ـ «السلام» يعني رضا الإنسان وأمنه واطمئنانه لان الإنسان يكون لدى التحية في الصلح بينه وبين نفسه ولا يشتكي ويكون صابرا ويعيش في ظروف الراحة الداخلية؛

ـ «السلام» ـ علامة الابتعاد عن كل رذالة وسوء والشعور بالصفاء المعنوي والطريق إلى الهداية؛

ـ «السلام» ـ تعبير عن التقوى أي حالة تسليم المؤمن نفسه لله تعالى والتوكل والاعتماد عليه. وفي هذا المعنى يساوي «السلام» ـ «الإسلام» وخاصة كلا الكلمتين من أصل واحد.

ـ «السلام» ـ كلمة نجاة المسلم في الاخرة أيضاً.

ويمكن القول بأن المجتمعات التي يسود فيها السلام والامن خالية عن الجرائم. وإذا كان السلام يسود هذا المجتمع الإسلامي فذلك أيضاً من فضل الله تعالى الذي حرم

الجرائم التي ابشعها قتل الإنسان الذي خلقه.

ومعروف ان الإنسان إذا قتل انسانا آخر متعمداً فجزاؤه في هذه الدنيا امام القانون والقضاء وفي الآخرة له عذاب اليم: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(٢١).

كما ان الإسلام يعتبر قتل الإنسان جريمة ضد البشرية كلها: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾(٢٢).

وفي المجال الاجتماعي لا يقبل الإسلام الاعتداء على الآخرين وينهى عن العدوان: ﴿ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين﴾(٢٣). ويقترح حل المشاكل بالعدل والانصاف وبالترحم حتى في الحروب وعدم الاعتداء على المسلمين.

من المعلوم ان اراضي العالم تنقسم إلى ثلاثة من حيث الإسلام وهي: «دار الاسلام» و«دار الحرب» و«دار العهد»(٢٤). ودار الإسلام هي الاراضي التي تطبق فيها احكام الشريعة الإسلامية و«دار الحرب» هي الاراضي التي لم تسلم ولم يفتحها المسلمون بعد وليست بينها وبين المسلمين «معاهدة». و«دار العهد» هي تلك الاراضي التي غنمها المسلمون بدون حرب لان سكانها تعاهدوا مع المسلمين معاهدة سلمية.

ومن هنا يدعو الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢٥).

وهناك مجتمعات يعيش فيها إلى جانب المسلمين، ممثلو اديان وقوميات اخرى أيضاً، وفي مثل هذه المجتمعات يجب ان يسود التسامح الديني، الذي كان قائما في الدولة الإسلامية الأولى. صحيح هذا موضوع محاضرة اخرى ولكن اجمالا لما تم ذكره آنفا يمكن القول: ان القرآن الكريم يرى بأن الإسلام والأمن انما هما أساس سلامة وتطور المجتمعات الإنسانية من كافة الجوانب والتعاون والتكاتف بين افرادها المؤمنين. والانسان المؤمن المتميز بتقواه سيكون مخلصا لاحكام الشريعة الإسلامية ولا يعتدي

على الاخرين. وإذا كان جميع افراد المجتمعات يراعون هذه الاحكام فهذه المجتمعات ستكون مضمونة من الكوارث الاجتماعية والفساد والجرائم وستكون آمنة ومسالمة. وعلينا رجال الدين ان نربي افراد مجتمعاتنا على روح السلام والامن ونكون بسلوكنا قدوة ومثالا لهم في نفس الوقت.

**الهوامش:**

١ – القرآن الكريم.

٢ –الحجرات/ ١٠.

٣ – النساء/ ١٠.

٤ – الانفال/ ٦١.

٥ – محمد فؤاد عبدالباقي. المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم. دار الحديث، بيروت ١٩٨٧، ص ٣٥٦ .

٦ – يونس/ ٢٥.

٧ – المائدة/ ١٦.

٨ – مصطفى كمال الترزي. الإسلام دين الاخوة والسلام . مجلة الهداية. تونس، ١٩٧٧، العدد ٥، ص ٥٦ –٥٧.

٩ – البقرة/ ٢٠٨.

١٠ – القدر/ ٥.

١١ – شلتوت محمد. توجهات السلام. دار الشرق، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٤٤.

١٢ – الحشر/ ٢٣.

١٣ – الحجرات/ ١٣.

١٤ – الحجرات/ ١٣.

١٥ – الاحزاب/ ٤٤ و يونس /١٠ وابراهيم/ ٢٣ ومريم/٦٢.

١٦ – الزمر/ ٧٣.

١٧ – النور/ ٢٧.

١٨ – النووي ابو ذكريا. متن الاربعين النووية في الاحاديث الصحيحة النبوية. الكويت، ١٩٨٩، ١٢٨ ص.

١٩ – النساء/ ٨٦.

٢٠ – الغزالي ابو حامد. احياء علوم الدين. باب «السلام»، بيروت، ١٩٩٢م.

٢١ – النساء/ ٩٣.

٢٢ – المائدة/ ٣٢.

٢٣ – البقرة/ ١٩٠ و المائدة/ ٨٧.

٢٤ – شيباني حمد احمد. دور العبادات في تكوين نمط السلوك الإسلامي. باكو، ارشاد، ١٩٩٧. (بالاذربيجانية).

٢٥ – يونس/ ٢٥.